قرآءة تفسيـرية
لآية الحديد في ضوء
المعطيات العلمية الحديثة

الدكتور محمود الصميدعي
معاون رئيس الديوان للشؤون الدينية
والمحاضر في كلية الإمام الأعظم

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أنار قلوب عباده المتقين بنور كتابه المبين وجعل القرآن شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين سيدنا محمد النبي العربي الأمين وعلى آله الطيبين الأطهار وأصحابه الهادين الأبرار ومن تبعهم من الأخيار .

وبعد .. فإن الإعجاز القرآني بما يشتمله من أسرار وعلوم، تكشفت بعضها ولمّا تزل تتكشف، قد أعجز العقول عن مواكبة غيضه، وكلت الأقلام عن مسايرة فيضه، فلا يتأتى لأي باحث أن يُجلي مكامنه، مهما أوتي من صفاء الفطرة، ونفاذ البصيرة، وغاية ما يحققه أن يضيف لبنة إلى صرح شامخ .

والدلائل والأسرار التي اهتدى إليها العلماء، ليست إلا قطرة من بحر لجيّ لا أول له ولا آخر، وللمعجزات العلمية نصيب كبير، فهي بالمقارنة مع غيرها من المعجزات آخذة بالتوسع مع كثرة الاكتشافات العلمية، فمع كل اكتشاف علمي جديد ورصين، تظهر معجزة قرآنية كان الناس في غفلة عنها .

وقد تصاعدت في الآونة الأخيرة دعوات تتعلق بالحديد وإنزاله، فعزمت بعد التوكل على الله في تجميع شتات هذه الأقوال ومناقشتها، ومقارنتها مع ما قاله السلف من المفسرين والعلماء في تفسير الآيات التي ورد فيها لفظ الحديد، وتقديم تفسير جديد في ضوء المعطيات العلمية الحديثة .

وبالنظر لمحدودية حجم هذا البحث فلم أتناول تعريف المعجزة لشيوعه واشتهاره، لذلك جاء هذا البحث الذي أسميته **قراءة قرآنية للحديد في ضوء المعطيات العلمية**

الحديثة في مقدمة ومبحثين .

تناولت في المبحث الأول أقوال العلماء المعاصرين في معجزة إنزال الحديد .

وفي المبحث الثاني أجملت أقوال المفسرين في تفسير إنزال الحديد.

وفي المبحث الثالث ناقشت الأقوال المعارضة لمعجزة إنزال الحديد والمؤيدة له .

وختمت البحث بخاتمة أوجزت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها والتوصيات .

رافعاً أكفّ الضراعة إلى العلي القدير أن يجعلنا من خدمة كتابه العزيز، وأن يوفقنا للعمل به والتفقه فيه .

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

❊ ❊ ❊

المبحث الأول
أقوال العلماء المعاصرين في معجزة إنزال الحديد

ارتبط الحديد بعدد من المعجزات منها معجزة إنزاله، فذهب بعض العلماء المعاصرين إلى أن قوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(١) .

دال على ذلك، وقالوا : إن الحديد ليس من عناصر الأرض وأنه أنزل من السماء، وسأجمل هنا ما قاله العلماء مع تبسطيه : يقرر علماء الفلك أنَّ الكون الحالي الذي نراه ونسبر أغواره بالتقنيات والأجهزة الحديثة قد تطور من حالة بدائية لم يكن فيها غير الهايدروجين والهيليوم على شكل سحب هائلة تملأ فراغ الكون منذ مدة من الزمن تقدر بحوالي ١٠ إلى ٢٠ بليون سنة، ثم أخذت هذه السُحب في التكثف لتكوّن النجوم التي تنتظم في مجاميع هائلة تسمى المجرات، والنجوم هي الأفران الكونية التي يتم فيها طبخ المادة الأولية للكون، وهي الهايدروجين لإنتاج عناصر الكون الأخرى، وهي أيضاً مصدر الإشعاعات في هذا الكون، وبمجرد ظهور النجم، أو ما يمكن التعبير عنه بولادة النجم، يمر بدورة حياة تنتهي بوفاته طالت أم قصرت(٢).

---

(١) سورة الحديد : الآية ٢٥.

(٢)ينظر : إنزال الحديد من السماء، بحث نشره أ.د ممدوح عبد الغفور حسن، بالتعاون مع جمعية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في القاهرة، ونشر على شبكة المعلومات العالمية: / http: / /www.55a.net ومن أبحاث المؤتمر الأول للإعجاز العلمي ـ تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبد المجيد الزنداني، وسعاد يلدرم، ومحمد الأمين ولد محمد، الرياض، ١٩٨٧م : ١١، ومن آيات الإعجاز العلمي في القرآن، الدكتور زغلول النجار، مكتبة الشروق، القاهرة، ٢٠٠١م : ١٣٠، ومعجزة إنزال الحديد وبأسه الشديد في القرآن الكريم والفيزياء النووية، أ.د عبد الله محمد البلتاحي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ٢٠٠٨م: ١٦، وموسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، دمشق، ط٢، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م : ٢٢٤ .

وتبدأ هذه الدورة بولادة النجم من أحد السدم الغازية وتنتهي بوفاته وتحوله إلى رفات على هيئة واحد من الأجسام الغريبة المتناثرة في الفضاء، وما بين الولادة والوفاة تمر النجوم بدورة تختلف في تفاصيلها حسب كتلة النجم، أي : كمية المادة المركزة فيه، وقد تأخذ هذه الدورة وقتاً قصيراً في حدود المليون سنة، وقد تطول ليصل عمر النجم إلى بلايين أو آلاف البلايين من السنين، والغريب في الأمر أنّه كلما كبرت كتلة النجم كلما قل عمره، وزادت أحداث حياته عنفاً، وكلما صغرت كتلة النجم كلما زاد عمره وقل عنف الأحداث التي يمر بها[١].

وقد أمكن دراسة هذه الدورة من دراسة الشمس أولاً، ومن دراسة بعض النجوم الأخرى التي تستطيع تليسكوباتنا أن تكشف تفاصيلها، فعملية ولادة النجوم عملية مستمرة منذ أن خلق الله الكون في البداية إلى الآن، ولذلك يحوي الكون نجوماً بكتل مختلفة وبأعمار مختلفة منها يمكن معرفة مراحل التطور المتتالية للنجوم حسب كتلتها، وتعدّ الشمس نجماً متوسطاً من ناحية الكتلة، فكتل النجوم التي ترصدها التليسكوبات تتراوح من حوالي خمس كتلة الشمس إلى خمسين ضعف كتلتها، كذلك فإن الشمس تمر الآن بمنتصف عمرها، فهذا العمر يقدر بحوالي عشرة بلايين سنة، انقضى منها حوالي خمسة حتى الآن وباقي خمسة أخرى[٢].

تبدأ أول بادرة ميلاد نجم بتجمع عدد من ذرات الهايدروجين نتيجة اصطدامها ببعضها في لحظة واحدة، وتبيّن الحسابات الفلكية أن مثل هذا الحدث شائع في جميع أجزاء الكون نتيجة الحركة الدائبة للذرات في السحب الكونية، وبمجرد تكوّن مثل هذا التجمع من الذرات يصبح له مجال جاذبي يعمل على جذب مزيد من الذرات إليه، وبالتالي تزيد شدة هذا المجال الجاذبي، فيجذب إليه مزيداً من الذرات، وهكذا ينمو هذا التجمع باستمرار،

(١) ينظر : إنزال الحديد من السماء، ومن أبحاث المؤتمر الأول للإعجاز العلمي : ١١، ومن آيات الإعجاز العلمي في القرآن : ١٣٠، ومعجزة إنزال الحديد وبأسه الشديد : ١٦، وموسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : ٢٢٤ .

(٢) ينظر : المصادر نفسها .

وتزيد كتلته بالتدريج إلى أن تصل إلى مقدار هائل ليصبح نجماً وليداً، ويقدر علماء الفلك أن ذلك يستلزم تجمع عدد من الذرات، في حدود حوالي ١٠ ^٥٧ ذرة، وهذا رقم لا يوجد شيء على الأرض يضارعه، فلو قدرنا عدد حبيبات الرمال الموجودة في الأرض كلها فلن تزيد عن ١٠ ^٢٥، ولو حسبنا عدد النيوتورنات والبروتونات الموجودة على سطح الأرض كلها فلن تزيد عن ١٠ ^٥١، وهذا العدد تبلغ كتلته حوالي ١٠ ^٣٣ جرام ؛ أي : حوالي نصف كتلة الشمس، أي : أن التجمع الذري لا يعدّ نجماً وليداً، إلا إذا وصلت كتلته إلى حدود كتل النجوم(١).

وتفرض القوانين الفيزيائية على النجم الوليد أن يدور حول نفسه وينكمش حجمه بتأثير اندفاع الذرات، وسقوطها نحو مركزه، وهو أقوى نقطة للجاذبية فيه، ويؤدي ذلك إلى ارتفاع درجة الحرارة في المركز بالتدريج، وكلما ازداد اندفاع الذرات نحو المركز وانضغاطها فيه كلما ازدادت قوة الجاذبية، وارتفعت درجة الحرارة فيه إلى أن تصل إلى عشرة ملايين درجة مئوية، وهذه هي اللحظة التي يتحول فيها النجم الوليد إلى نجم حقيقي، أو نجم يافع ناضج، ويبدأ في إنتاج الطاقة في نقطة المركز؛ فعند وصول درجة الحرارة إلى عشرة ملايين درجة مئوية تتحرر نويات الهايدروجين من الكتروناتها، ويصبح تصادمها من القوة بحيث تندمج كل أربعة بروتونات مع بعضها، وتقتنص الكترونين من الالكترونات المحررة وتتحول إلى نواة هيليوم تتكون من برونونين العدد الذري للهيليوم = ٢ونيروترونين، وتنطلق طاقة التفاعل الاندماجي، أي : يبدأ الهيدروجين في الاحتراق ويتحول إلى هيليوم وتبدأ مرحلة النجم الحقيقي، فالتجمع الغازي لا يسمى نجماً قبل بداية التفاعل النووي الاندماجي الذي ينتج الطاقة ويطبخ العناصر كما سنرى، ولذلك سمّي ذلك التجمع نجماً وليداً(٢).

---

(١) ينظر : إنزال الحديد من السماء، ومن أبحاث المؤتمر الأول للإعجاز العلمي : ١٢، ومن آيات الإعجاز العلمي في القرآن : ١٣١، ومعجزة إنزال الحديد وبأسه الشديد : ١٧، وموسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : ٢٢٥ .

(٢) ينظر : إنزال الحديد من السماء، ومن أبحاث المؤتمر الأول للإعجاز العلمي : ١٢، ومن آيات الإعجاز

ومنذ هذه اللحظة يعيش النجم في توازن بين قوة الجاذبية التي تعمل على انكماشه وتدافع مادته نحو المركز وبين الضغط الشديد المتولد بداخله نتيجة التفاعل الاندماجي، والذي يعمل على معادلة قوة الجاذبية نحو المركز، فعندما تقل شدة التفاعل النووي داخل النجم تتغلب قوة الجاذبية على الضغط الداخلي، وتؤدي إلى انكماش النجم وزيادة الاندفاع نحو المركز الذي تزداد فيه درجة الحرارة إلى أن يعود التفاعل الاندماجي إلى شدته فيولد الضغط الذي يعادل قوة الجاذبية، أما إذا تصاعد التفاعل النووي بشدة فإن الضغط المتولد قد يزيد على قوة الجاذبية، فيتمدد النجم ويزيد حجمه زيادة كبيرة[١].

وتسير الأمور على هذا المنوال إلى أن يصل النجم إلى أواخر حياته، وينفد وقوده النووي وتتوقف التفاعلات الاندماجية بداخله، وتنتصر قوة الجاذبية في النهاية وتعمل على انكماش النجم بقسوة بالغة لا توجد الكلمات التي تعبر عنه حتى يختفي من الوجود تماماً، أو يتحول إلى واحد من الأجرام الضئيلة الباردة المتناثرة في أرجاء الكون الفسيح. وتختلف تفاصيل وعنف الأحداث التي يمر بها النجم كذلك الفترة الزمنية التي تستغرقها حياته على كتلته عند مولده، وعلى هذا الأساس يمكن تمييز النجوم إلى صغيرة ومتوسطة وكبيرة تتشابه في مولدها ولكنها تختلف كثيراً في حياتها ومماتها، تماماً مثل البشر[٢].

ولمعرفة علاقة الحديد بهذه العمليات الكونية، لا بدّ من معرفة أنواع النجوم، وهي :

أ ـ النجوم الصغيرة :

وهي النجوم التي تبلغ كتلة الواحد منها أقل من نصف كتلة الشمس تقريباً، فهذه عندما تصل درجة الحرارة في مركزها إلى ١٠ مليون درجة مئوية، يبدأ فيها تكون الهيليوم من اندماج نويات الهايدروجين ويستمر هذا التفاعل في إنتاج الحرارة، ويبقى النجم طيلة مرحلة النضوج في توازن بين قوة الجاذبية التي تعمل على انكماشه وقوة الضغط الداخلي

العلمي في القرآن : ١٣١، ومعجزة إنزال الحديد وبأسه الشديد : ١٧، وموسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : ٢٢٥ .

(١) ينظر : المصادر نفسها .

(٢) ينظر : المصادر السابقة .

الناشئ في لب النجم نتيجة التفاعل النووي الاندماجي، فيظل حجم النجم ثابتاً وإشعاعه ثابتاً لفترات تصل لبلايين السنين، ولكن عند استنفاد الهايدروجين الموجود في اللب يتوقف التفاعل النووي الاندماجي، ويقل الضغط الداخلي الذي كان يقاوم الجاذبية التي تربح الجولة الأخيرة، وتؤدي بالنجم إلى الانكماش في الحجم وبداية رحلة الفناء، فيصغر حجم النجم إلى أن يصل إلى حجم الكرة الأرضية أو أقل، وتزداد كثافته زيادة هائلة حتى أن وزن السنتيمتر المكعب من مادته يعادل وزن خمسين طناً على سطح الأرض، وهنا يدخل النجم مرحلة الاحتضار فيظل حجمه ثابتاً ويشع الطاقة المخزونة فيه منذ مرحلة نضوجه السابقة، ويرى في التليسكوب على هيئة جرم صغير يسطع بضوء أبيض، ويسمى في هذه الحالة قزماً أبيضاً، وفي النهاية بعد أن تنفد طاقته المخزونة يأفل لمعانه بالتدريج ويتحول إلى قزم أسود بارد يتوارى عن الأنظار[1].

ب ـ النجوم المتوسطة :

وهي النجوم التي تتراوح كتلتها ما بين نصف كتلة الشمس وثلاثة أضعاف كتلتها تقريباً، وفي هذه النجوم تسير الأحداث أولاً مثل النجوم الصغيرة، ولكن بعد استنفاد الهايدروجين في اللب وتحوله إلى هيليوم تكون درجة الحرارة في الغلاف الذي يحيط باللب قد وصلت إلى ١٠ مليون درجة مئوية، فيبدأ هذا الهيدروجين في الاحتراق من الداخل إلى الخارج، ويؤدي هذا الاحتراق النووي إلى تمدد الغلاف بدرجة كبيرة حتى يصل قطره إلى عدة آلاف من المرات مثل قطر النجم الأصلي، ويتحول النجم من نجم عادي إلى نجم مارد، ويطلق عليه أحياناً اسم المارد الأحمر، إذ أن إشعاعه يكتسب لوناً أحمر، ويقدر للشمس أنها ستصل إلى هذه المرحلة بعد حوالي ٥ بلايين سنة، وعندئذٍ سيصل تمددها إلى أبعد من بلوتو، وهو أبعد كواكبها عنها متوسط المسافة بين بلوتو والشمس ٥٩٠٠ مليون كيلو متر، وقطر الشمس مليون و٣٩٢ ألف كيلو متروستحيل

(١) ينظر : إنزال الحديد من السماء، ومن أبحاث المؤتمر الأول للإعجاز العلمي : ١٣، ومعجزة إنزال الحديد وبأسه الشديد : ١٨، وموسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : ٢٢٦ .

كل كواكبها إلى غازات ملتهبة، وفي أثناء هذا التمدد تزداد حرارة اللب الذي يتكون من الهيليوم بالتدريج زيادة كبيرة حتى تصل إلى ١٠٠ مليون درجة مئوية، فيبدأ الهيليوم في الاحتراق أو الاندماج لتكوين الكربون والأكسجين، فيعمل على زيادة الحجم أكثر وأكثر حتى يصل إلى أحجام قريبة من أحجام السدم، ويسمى في هذه الحالة السديم النجمي، أي : السديم الذي تكون من تمدد نجم في أواخر مرحله و نضوجه، وقد يحدث لبعض النجوم وهي في هذه المرحلة بعض الانفجارات العنيفة، فتقذف بجزء من مادتها الملتهبة في الفضاء حولها ويظهر ذلك في تليسكوباتنا على هيئة زيادة مفاجئة في لمعان النجم لفترة قصيرة، ثم يعود إلى لمعانه السابق، ويطلق على هذا اللمعان المفاجئ اسم النوفا، ويبقى النجم في هذه الحالة إلى أن ينتهي احتراق الهيليوم في اللب فتنتهي بذلك فترة نضوجه ويبدأ في شيخوخته ثم اختصاره، فبعد نفاد الوقود النووي بداخل النجم العملاق أو السديم النجمي لا يوجد ما يوقف الجاذبية من جذب مادة النجم كلها نحو مركزه بقسوة بالغة تؤدي إلى انكماش النجم وتضاغط مادته وتحوله إلى قزم أبيض ينتهي به الحال إلى قزم أسود بارد كما يحدث للنجوم الصغيرة[1].

ج ـ النجوم الكبيرة :

وهي النجوم التي تبلغ كتلتها أكثر من ثلاثة أمثال كتلة الشمس. وتمر هذه النجوم بالمراحل نفسها التي تمر بها النجوم المتوسطة حتى تصل إلى مرحلة المارد الأحمر، ولكن الأمر يختلف بعد ذلك، فبعد تحول كل الهيليوم في اللب إلى كربون وأوكسجين، فإن هذا اللب ينكمش تحت تأثر جاذبيته فتتزايد درجة حرارته أكثر وأكثر حتى تصل إلى ٦٠٠ مليون درجة تقريباً، وهي الحرارة اللازمة لإتمام الاندماج بين ذرات الكربون فيبدأ احتراق الكربون احتراقاً نووياً ليعطي العناصر الأثقل مثل الماغنيسيوم والسليكون، وعند استنفاد الكربون من اللب يعود اللب إلى الانكماش، وتتزايد حرارته إلى أن تصل

(١) ينظر : إنزال الحديد من السماء، ومن أبحاث المؤتمر الأول للإعجاز العلمي : ١٤، ومعجزة إنزال الحديد وبأسه الشديد : ١٩، وموسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : ٢٢٧ .

إلى الدرجة اللازمة لاحتراق العنصر الأثقل، وهكذا يستمر النجم في تصنيع وحرق العناصر واحداً تلو الآخر، وقد يمر النجم بمرحلة المارد الأحمر عدة مرات في كل مرة ينتقل الاحتراق من عنصر إلى العنصر التالي، إلى أن يصل إلى الحديد الذي يحدد بداية النهاية للنجم، فالحديد يختلف عن كل العناصر السابقة في أنه غير قابل للاحتراق مثلما سبقه من العناصر، فاندماج نويات الحديد لا تنتج عنه طاقة بل يحتاج هو نفسه إلى طاقة، ولذلك فإن ظهور الحديد في لب النجم الكبير يعدّ إنذاراً بنفاد مخزونه من الوقود النووي وإعلاناً عن بداية النهاية المحتومة، فعندما يصبح اللب من الحديد ويتوقف فيه إنتاج الطاقة يحدث للنجم انفجار هائل يؤدي إلى تطاير كل مادته التي تحيط باللب في الفضاء، وينتج عن ذلك إشعاع كميات هائلة من الطاقة تصل إلى بلايين المرات مثل إشعاع النجم الأصلي، أو إلى ما يعادل إشعاع مجرة بأكملها، ويؤدي ذلك إلى تكون سديم من المادة المتطايرة يحوي في داخله اللب الحديدي الذي تحدث فيه أحداث عظام، ويسمي علماء الفلك هذا الانفجار الهائل السوبرنوفا، وسديم السرطان هو بقايا السوبرنوفا الذي حدث عام ١٠٥٤ لأحد النجوم الكبيرة في مجرتنا، إذن فأن معدن الحديد المتوافر على سطح الأرض هو نتاج انفجار نجم كبير وصلت شظاياه إلى أرضنا على شكل نيازك استقرت على سطح الأرض وبعضها استقر في مركزه[1].

وههنا قد يظهر إشكال للقارئ، وهو كيف وصل الحديد إلى قلب الأرض ؟

فربَّما تصور بعضهم أن الحديد نزل بعد تكون الكرة الأرضية، ولاسيما أن بعض العلماء، وهو أرثر بيرزفي كتابه الأرض، قد صرّح أن النيازك تقسم على ثلاثة أقسام :

النيازك الحديدية : وهي تتكون من ٩٨٪ من الحديد والنيكل .

النيازك الحديدة الحجرية : وهذه نصفها مكون تقريبا من الحديد والنيكل، والنصف الآخر من الحجر المعروف باسم أوليفين.

(١) ينظر : إنزال الحديد من السماء، ومن أبحاث المؤتمر الأول للإعجاز العلمي : ١٥، ومعجزة إنزال الحديد وبأسه الشديد : ١٩، وموسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : ٢٢٨ .

النيازك الحجرية . وأنه يتساقط في كل عام آلاف النيازك والشهب على كوكب الأرض، التي قد يزن بعضها عشرات الأطنان، فبعضها بلغ ٦٢ طناً[١].

وللإجابة عن هذا الإشكال أنقل ما ذكره العلماء من أن لب الأرض صلب داخلي، وهو: عبارة عن نواة صلبة من الحديد ٩٠٪ وبعض النيكل ٩٪ مع قليل من العناصر الخفيفة مثل الكربون والفسفور والكبريت والسليكون والأوكسجين ١٪، وهو قريب من تركيب النيازك الحديدية مع زيادة واضحة في نسبة الحديد ويبلغ قطر هذه النواة حالياً ما يقدر بحوالي ٢٤٠٢ كم وتقدر كثافتها بحوالي ١٠ ـ ٥ , ١٣ جرام/ سم[٢]٣.

وهذا يبعد أن يكون وجود الحديد جاء من تساقط النيازك بعد تكون الكرة الأرضية، ويبعده أيضاً أن الحديد يشكل نسبة كبيرة من جسم الكائنات الحية، ومنها الإنسان[٣].

❊ ❊ ❊

(١) ينظر : موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : ٢٢٦ .

(٢) ينظر : الأراضين السبع، للدكتور زغلول النجار، بحث نشر على الانترنت :
http: / /www.55a.net

(٣) سيأتي بيان هذا في المبحث الثالث .

المبحث الثاني
أقوال المفسرين في تفسير إنزال الحديد

ذهب عبد المجيد الزنداني إلى أن المفسرين أشاروا إلى نزول الحديد صراحة بقوله : ووجدنا بعض المفسرين ـ رضوان الله عليهم ـ يقولون ـ جزاهم الله خيراً ـ أنزلنا بمعنى خلقنا، فيرد عليهم آخرون من المفسرين قالوا : لا، لو أراد الله أن يقول خلقنا لقال خلقناولكنه قال : أنزلنا[١].

وقد تتبعت أغلب التفاسير المطبوعة بدءاً من تفسير مجاهد وحتى تفسير الآلوسي في تفسير معنى إنزال الحديد في قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٢] فوجدتها لا تخرج عن نطاق الأقوال الآتية :

أحدهما: أن الله أنزل الحديد مع آدم عليه السلام وهو اختيار الفراء[٣]، والطبري[٤] والسمرقندي[٥]، والواحدي[٦].

---

(١) المستقبل سيكون للإعجاز العددي، لعبد المجيد الزنداني مقال منشور على الانترنت
http: / /www.55a.net

(٢) سورة الحديد : الآية ٢٥.

(٣) ينظر : مَعَانِي الْقُرْآن، لأبي زَكَرّيا يْحيى بن زِياد الفَرَّاء، ت ٢٠٧ هـ، تحقيق : أَحْمَد يوسف نجاتي، ومُحَمَّد علي النَّجّار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦م : ٥ / ٨٥ .

(٤) ينظر : جَامِع الْبَيَان عن تأويل آي الْقُرْآن المعروف بـتَفْسِيرْ الطَّبَرَي، لأبي جعفر مُحَمَّد بن جَرِير بن يزَيْد بن خالد بن كثير بن غالب الآملي الطَّبَري، ت ٣١٠هـ، تحقيق : محمود مُحَمَّد شاكر وأحمد مُحَمَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، مصر، ط١، ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠م : ٢٣ / ٢٠١ .

(٥) ينظر : بحر العلوم المسمى بـتفسير السمرقندي، لأبي الليث نصر بن مُحَمَّد بن أحمْد بن إبْرَاهِيم السمرقندي، ت ٣٧٥ هـ، تحقيق : د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ : ٣ / ٣٨٨ .

(٦) ينظر : الوَجِيْز فِي تَفْسِيرْ الكِتَاب الْعَزِيز، لأبي الحَسَن علي بن أَحْمَد الواحدي، ت ٤٦٨ هـ، تحقيق : فوان

ورويت في ذلك بعض الآثار، منها :

روى الطبري بسنده عكرمة عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال : ثلاثة أشياء نزلت مع آدم : الحجر الأسود، كان أشد بياضاً من الثلج، وعصا موسى وكانت من آس الجنة، طولها عشرة أذرع مثل طول موسى، والحديد، أنزل معه ثلاثة أشياء : السندان والكلبتان والميقعة وهي المطرقة [١].

وروى الثعلبي بسنده قال : قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا نزل آدم من الجنّة معه خمسة أشياء من الحديد : السندان، والكلبتان، والمنقعة، والمطرقة، والأُبرة[٢].

وروي عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : إنّ الله عزّ وجلّ أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض : فأنزل الحديد، والنّار، والماء، والملح [٣].

الثاني : أنه من الأرض غير منزل من السماء، فيكون معنى قوله وَأَنزَلْنَامحمولاً على أحد وجهين :

أحدهما : أي أظهرناه . قال قطرب : هيأناه لكم وأنعمنا به عليكم من نزل الضيف[٤].

الثاني : لأن أصله من الماء المنزل من السماء، فينعقد في الأرض جوهره حتى يصير بالسبك

عدنان داوودي، دار القلم بيروت، والدار الشامية بدمشق، ط١، ١٤١٥ هـ : ٢/ ١٠٧١ .

(١) جامع البيان : ٢٣ / ٢٠١ .

(٢) الكَشْف والْبَيَان، لإبي إسحاق أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، ت ٤٢٧ هـ، تحقيق : الإمام أبي مُحَمَّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق : الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢م : ٩/ ٢٤٦ .

(٣) رواه الثعلبي بسنده في الكَشْف والْبَيَان : ٩ / ٢٤٦، وأخرجه الديلمى في الفِرْدَوْس بِمَأْثُورِ الخِطَابِ لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني ت ٥٠٩هـ، تحقيق : مُحَمَّد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بَيْرُوْت، ط١، ١٩٨٦م : ١/ ١٧٥، رقم ٦٥٦ . وقال الألباني في سلسة الأحاديث الضعيفة، لمحمد ناصر الدين الألباني ت ١٤٢٠هـ، ط١، مكتبة التربية الإسلاميّة، القاهرة، بلا تاريخ : ٧/ ٥٣ : إنه موضوع .

(٤) ينظر : مَجْمَع الْبَيَان فِي تَفْسِيرْ الْقُرْآن المعروف بـتَفْسِيرْ الطَّبْرَسِي، لأبي علي الْفَضْل بن الْحَسَن بن الْفَضْل الطَّبَرْسِي الطُّوْسي السَّبْزَواري، ت ٥٤٨هـ، تصَحِيْح وتعليق : هاشم الرسولي، وفضل الله الطباطبائي اليَزْدِي، شركة المعارف الإسلاميّة، إِيْرَان، ط١، ١٣٧٩هـ : ٩/ ٣٠٩ .

حديداً[١]. وهناك وجه ثالث أن معنى أنزلناه : خلقناه، وهو قول الحسن[٢]، وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾[٣]، وهو تفسير بلازم الشيء، فإن كل مخلوق منزل باعتبار ثبوته في اللوح وتقديره موجودا حيث ما ثبت فيه[٤]، وإلى هذا ذهب مقاتل[٥]، وابن أبي زمنين[٦]، والقشيري[٧]، والسمعاني[٨]، وابن عطية[٩] .

---

(١) ينظر : النُّكَت وَالعُيُون، المعروف بـتفسير الماوردي، لأبي الحسن علي بن حبيب البصري، ت ٤٥٠ هـ، تحقيق : خضر مُحَمَّد خضر، مطابع مقهوي، الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م : ٥ / ٤٨٣ .

(٢) ينظر : الْبَحْر المُحِيط، لأبي عبدالله أثِيرْ الدِّين مُحَمَّد بن يوسُف بن علي بن يوسُف بن حَيَّان الْأندَلُسِي الشهير بابن حَيَّان وبأَبي حَيَّان، ت ٧٥٤هـ، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٩هـ : ٨/ ٢٢٦ .

(٣) الزمر : الآية ٦ .

(٤) ينظر : الجَامِع لَأحْكَام الْقُرْآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبدالله شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أَبِي بَكْرٍ بن فَرْح الأنصاري الخَزْرَجي القُرْطُبي، ت ٦٧١ هـ، تحقيق : أَحْمَد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط٢، ١٣٧٢ هـ : ٩/ ١٦، و إِرْشَاد الْعَقْلِ السَّلِيمِ إلى مزايا الْقُرْآن الكريم . لأبي السعود مُحَمَّد بن مُحَمَّد العمادي، ت ٩٨٢هـ، دار إِحْيَاء التُّرَاث العَرَبِيّ، بَيْرُوْت، بلا تاريخ : ٨/ ٢١٢ .

(٥) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي المتوفى سنة ١٥٠ هـ- تحقيق : أحمد فريد، من منشورات مُحَمَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣م : ٣/ ١٢٧ .

(٦) ينظر : تفسير ابن أبي زمنين، وهو مختصر تفسير يحيى بن سلام، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن عيسى بن أبي زمنين المري المالكي، المعروف بابن أبي زمنين، ت ٣٩٩ هـ، تحقيق : مُحَمَّد حسن مُحَمَّد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المؤيدي، منشورات مُحَمَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣م : ٤/ ٣٥٥ .

(٧) ينظر : لطائف الإشارات تفسير القشيري، لأبي القاسم عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك القشيري النيسابوري الشافعي، ت ٤٦٥ هـ، وضع حواشيه وعلق عليه عبداللطيف حسن عبدالرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م : ٧/ ٣٩٣ .

(٨) ينظر : تَفْسِير السَّمْعَانِيّ، لأبي المظفر منصور بن مُحَمَّد بن عبدالجبار السمَعَانِي، ت ٤٨٩ هـ تحقيق : ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض ـ السعودية، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م : ٢ / ١٧٣ .

(٩) ينظر : المحرر الوَجِيْز فِي تَفْسِيرْ الكِتَاب الْعَزِيز، المعروف بـتَفْسِيرْ ابن عطية، لأبي مُحَمَّد عبد الحق بن عطية الغرناطي الأندلسي، ت ٥٤١هـ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م : ٥ / ٢٤٣ .

قال السمعاني : فإن قال قائل : كيف قال أنزلنا ولم ينزل اللباس من السماء ؟ قيل : قد أنزل المطر وكل نبات من المطر فكأنه أنزله، وقيل معناه : أن كلّ ما في الأرض فهو من بركات السماء فيكون كالمنزل من السماء، وعلى هذا معنى قوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾، وإنما يستخرج من الأرض لكن نسبه إلى السماء، كذا هذا "[١].

والذي يعنينا من أقوال المفسرين هنا هو القول الأول، لعلاقته بإنزال الحديد، وقد استدل أصحابه بأثرين الأول لا علاقة له بهذه المعجزة، وأقصى ما يفيده هو إنزال بضعة أداوت مع آدم، وهي : السندان والكلبتان والميقعة وهي المطرقة .

والسندان : آلة الحدادين معروفة[٢].

والكلبتان: ﴿آلة مع الحدادين سميا بذلك تشبيها بكلبين في اصطيادهما، وثني اللفظ لكونهما اثنين﴾[٣].

والميقعة جاء تفيسرها بالأثر نفسه أنها المطرقة .

وجاء في الأثر الذي رواه الثعلبي السندان، والكلبتان، والمنقعة[٤]والمطرقة، والْأُبرة، وهي الأخرى لا تدل إلا على نزول بضعة أدوات مصنوعة من الحديد على افتراض أن المنقعة من الحديد .

بل يخالف بعض المفسرين الذين خصصوا إنزال الحديد بإنزال هذه الأدوات فيما حكى

---

(١) ينظر : تفسير السمعاني :٢ / ١٧٣ .

(٢) السندان : قال البعلي في المُطْلِع عَلَىَ أَبْوَاب الْفِقْه، لأبي عبدالله مُحَمَّد بن أَبِي الفَتْح البعلي الحنبلي، ت ٧٠٩ هـ، تحقيق: مُحَمَّد بشير الأدلبي، المكتب الإسلاميّ، بَيْرُوْت، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م : ٢٦٢ : فلم أره في شيء من كتب اللغة أيْضاً، فالظاهر أنه مولَّد، وهو عبارة عن الآلة المعروفة من الحديد الثقيل، يعمل عليها الحداد صناعته.

(٣) المُفْرَدَات فِي غَرِيب الْقُرْآن، لأبي القاسم بن حسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت ٥٠٢هـ، دار القلم، دمشق، بلا تاريخ : ٢/ ٣١٤ .

(٤) المنقعة : الإناء ينقع فيه الشيء . تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ت ٣٧٠ هـ، تحقيق : أحمد عبدالعليم البردوني، مراجعة : علي محمد البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر، بلا تاريخ : ١/ ٢٦٤.

عنهم ابن عطية، قال : قال جمهور كثير من المفسرين الحديد هنا أراد به جنسه من المعادن وغيرها وقال ابن عباس نزل آدم من الجنة ومعه السندان والكلبتان والميقعة، قال حذاق من المفسرين : أراد به السلاح، ويترتب معنى الآية بأن الله اخبر أنه أرسل رسله وانزل كتباً وعدلاً مشروعاً، وسلاحاً يحارب به[1].

فعلى هذا أن المراد بالحديد هو جنس المعادن، وهو ليس مقصوراً على الحديد، أو المراد منه السلاح على العموم وليس المقصود منه هذه الأدوات .

أما الأثر الثاني، فهو يبين إنزال الحديد والماء والنار، ومع أنه موضوع، كما تقدم، إلا أنه لا دلالة فيه على إنزال الحديد ذاته، فقد يراد به جنس المعادن كما قال ابن عطية .

❊ ❊ ❊

(١) المحرر الوجيز : ٥/ ٢٤٣ .

المبحث الثالث
مناقشة الآراء المعارضة والمؤيدة

لم يؤيد المفسرون أن المراد بإنزال الحديد هو الإنزال المادي الذي ذهب إليه العلماء المعاصرون، لذلك فأقوالهم ليست حجة في كيفية النزول، ولما كان التفسير يتأثر بعلوم العصر السائدة، إلى جانب عدم ورود حديث صحيح يفسر كيفية الإنزال، فنحن لا نتوقع وجود تفسير علمي يوافق الأقوال المعاصرة، وأن حمل الإنزال على الإنزال المادي يظل أمراً محتملاً لموافقته ظاهر الآية .

ولكن ما يشوش على نظرية إنزال الحديد بالكيفية التي ذهب إليها المعاصرون جملة أمور:

١ ـ من الناحية العلمية :

أ- إن الادعاء بأن الحديد لم يكن من العناصر المكونة لكوكب الأرض، يدحضه كون الحديد يشكل نسبة ٣٥٪ من مكونات الأرض، كما أنه ينتشر في كواكب المجموعة الأخرى ينتشر انتشاراً كبيراً[١]، فكيف يمكن أن يكون عنصر بهذه الكثرة والانتشار لم يظهر في الأرض إلا عن طريق هبوطه من الخارج عن طريق النيازك .

ب- إن الحديد يدخل في تكوين جميع الكائنات الحية الموجدة على الأرض ومنها الإنسان، إذ قرر العلماء أنه من دون أنزيم السايتوكروم الذي مركزه الحديد لا تتم الحياة والعمليات الأيضية، كما أنه من دون الحديد لا يمكن تكوين جزئية الهيموكلوبين في الدم الذي هو شريان الحياة ، والمايوكلوبين في العضلات الذين هما مصدر القوة في الجسم، إذ إن كمية وجوده في الجسم بصورة عامة تقدر بحوالي ٤غم وبصورة خاصة في

(١) ينظر : http: //www.arc.losrios.cc.ca.us /~jacksoh /Yuba /Lecture

الدم ٢,٥ غم ٦٥٪ والباقي في العضلات[١]. ويجاب عن ذلك من الناحية المنطقية أن هذا لا يعني أن الحديد لم ينزل إلى الأرض من الفضاء الخارجي، وأن اشتراك الكواكب الأخرى مع الأرض بتوافر عنصر الحديد فيها لا ينفي الإنزال، بل يكشف أن إنزال الحديد لم يكن مقصوراً على الأرض حسب، بل شمل جميع الكواكب لأن مصدر خلقها وتكوينها واحد، وأن إنزال الحديد هو قانون كوني عام .

ويجاب عنه من الناحية العلمية أن نسبة الحديد في شمسنا لا تتعدى ٠,٧٣٠٠ ٪من كتلتها، وهي أقل بكثير من نسبة الحديد في كل من الأرض والنيازك الحديدية التي تصل إليها من فسحة الكون، ولما كانت درجة حرارة لبّ الشمس لم تصل بعد إلى الحد الذي يمكنها من إنتاج السيليكون أو المغنيسيوم فضلاً عن الحديد، كان من البديهي استنتاج أن كلاً من الأرض والشمس قد استمد ما به من حديد، من مصدر خارجي عنه في فسحة الكون وأن أرضنا حينما انفصلت عن الشمس لم تكن سوى كومة من الرماد المكون من العناصر الخفيفة ثم رجمت هذه الكومة بوابل من النيازك الحديدية التي انطلقت إليها من السماء، فاستقرت في لبها بفضل كثافتها العالية وسرعاتها الكونية فانصهرت بحرارة الاستقرار وصهرت كومة الرماد وما يزنها إلى سبع أرضين : لب صلب على هيئة كرة ضخمة من الحديد ٩٠٪ والنيكل ٩٪ وبعض العناصر الخفيفة من مثل الكبريت والفوسفور والكربون ١٪ يليه إلى الخارج لب سائل له نفس التركيب الكيميائي تقريباً ويكون لب الأرض الصلب والسائل معا حوالي ٣١٪من مجموع كتلة الأرض ويلي لب الأرض إلى الخارج وشاح الأرض المكون من ثلاثة نطق ثم الغلاف الصخري للأرض وهو مكون من نطاقين وتتناقص نسبة الحديد من لب الأرض إلى الخارج باستمرار حتى تصل إلى ٥,٦ ٪في قشرة الأرض وهي النطاق الخارجي من

(١) ينظر : الحديد في الطب والعلم والقران ، مقال للدكتور مُحَمَّد جميل الحبال نشر على الانترنت.
http: / /www.55a.net /firas / نقلاً عن Harrison 's Principles of Internal Medicine P 1519.

غلاف الأرض الصخري[١].

وكذلك فأن وجود الحديد في جسم الإنسان لا ينفي هذه الحقيقة أبداً، بل يؤيدها ويؤكدها، من وجوه :

أول إنسان هو آدم، وقد أنزل إلى الأرض، وهذا يعني فعلاً نزول الحديد .

من ناحية أخرى فأن الإنسان خلق من تراب والتراب يحوي في تركيبته الحديد .

ومن ناحية ثالثة فأن الإنسان يتغذى على ما تنتجه الأرض التي يدخل الحديد في تركيبها.

٢ ـ من الناحية اللغوية :

إن الاستدلال بكلمة أنزلنالا يعني بأي حال من الأحوال هبوط الحديد من الفضاء الخارجي، وقد تقدم الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾[٢]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآَتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آَيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[٣].

وفي تفسير إنزال اللباس والريش خمسة أقوال :

الأول : إنه أنزل ذلك مع آدم وحواء، حين أمرا بالهبوط إلى الأرض، وهو قول الجبائي، وهو الظاهر من الآية[٤].

الثاني: معناه إنه ينبت بالمطر الذي ينزل من السماء، وهو مروي عن الحسن[٥].

---

(١) ينظر : شبهة نزول الحديد من السماء، لعبد الرحيم شريف، مقال منشور على الانترنت http: / /www.55a.net /

(٢) الزمر : الآية ٦ .

(٣) الأعراف : الآية ٢٦ .

(٤) ينظر : مجمع البيان : ٧ / ٢٦٧ .

(٥) ينظر : مجمع البيان : ٧ / ٢٦٧، و لُبَاب التَّأوِيل فِي مَعَانِي التَّنْزِيل المعروف بـتَفْسِيرْ الخازن لعلاء الدِّين علي بن مُحَمَّد بن إبْرَاهِيم البَغْدَادي الصوفي المعروف بالخازن، ت ٧٤١ هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٥٥م : ٢ / ٢١٩ .

الثالث: إن البركات ينسب إلى أنها تأتي من السماء، وهو مروي عن علي بن عيسى[١].

الرابع: المعنى : أعطيناكم ووهبنا لكم، وكل ما أعطاه الله تعالى لعبده، فقد أنزله عليه، ليس أن هناك علواً وسفلاً، ولكنه يجري مجرى التعظيم، كما يقال: رفعت حاجتي إلى فلان، ورفعت قضيتي إلى الأمير، وهو مروي عن أبي مسلم[٢].

الخامس: معناه خلقنا لكم، وهو موري عن أبي علي الفارسي[٣]

يقول الراغب : « النزول في الأصل هو انحطاط من علو.

يقال: نزل عن دابته، ونزل في مكان كذا: حط رحله فيه، وأنزله غيره، قال تعالى : ﴿أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾[٤]، ونزل بكذا، وأنزله بمعنى، وإنزال الله تعالى نعمه ونقمه على الخلق، وإعطاؤهم إياها، وذلك إما بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن، إما بإنزال أسبابه والهداية إليه، كإنزال الحديد واللباس »[٥].

ويعارض قول الجبائي أن اللباس أنزل من السماء مع نزول آدم وحواء أنه معارض بقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾[٦]، فقد بينت الآية أنهما تسترا بورق الجنة، ولم يرد نص يصرح بالتستر باللباس، وإن حملنا التستر بالورق على اللباس، أو أن هناك احتمال بتسترهما باللباس فيما بعد، فكيف نفسر إنزال الريش ؟وأجاب عبد الرحيم الشريف عن ذلك بقوله :

أما عن اختلاف النزول مع نزول الأنعام واللباس وهي بمعنى الخلق، فجواب ذلك: إن لفظ النزول تكرر في القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة مرة، ليس كلها بمعنى الخلق، بل أكثرها بمعنى النزول .

---

(١) ينظر : مجمع البيان : ٧ / ٢٦٧، ولباب التأويل : ٢ / ٢١٩ .

(٢) ينظر : مجمع البيان : ٧ / ٢٦٧ .

(٣) ينظر : مجمع البيان : ٧ / ٢٦٧، ولباب التأويل : ٢ / ٢١٩ .

(٤) المؤمنون : الآية ٢٩ .

(٥) مفردات ألفاظ القرآن : ٢ / ٤١٩ .

(٦) الأعراف : الآية ٢٢ .

ولا مانع في أن تكون نوعاً من البلاغة ـ مجازاً مرسلاً علاقته السببية ـ فيكون: « تفسير إنزال أزواج الأنعام في قوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾[١]، بإنزال الماء على وجه الأرض؛ لأنها لا تعيش إلا بالنبات، والنبات لا يقوم إلا بالماء، وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها، وكذا قوله تعالى : ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾[٢]، أي : مطراً هو سبب الرزق، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[٣]، أي: ما يسبب دخولهم النار »[٤].

ولكن تبقى هذه الإجابة دائرة في نطاق التخمين، وهي في أحسن أحوالها تفسر الإنزال بمعنى خلق الأسباب .

وقد وجد القائلون بإنزال القرآن بعض الموافقات من قبيل الإعجاز العددي حول الحديد، وعدّوها من المؤشرات الدالة على إنزال الحديد من ذلك قول الدكتور زغلول النجار :

١- إن الآية التي ذكر فيها الحديد في سورة «الحديد» رقم ٢٥ وبإضافة آية البسملة والتي توجد مرتين في النمل ولا توجد في التوبة تصبح الآية ٢٦ وهو الرقم الذرى للحديد أي: عدد الالكترونات في الذرة.

٢- رقم سورة الحديد هو ٥٧ بترتيب المصحف وتصبح ٥٦ إذا ما تم إقصاء الفاتحة من الترتيب لذلك سميت الفاتحة، والمقدمات في أي كتاب لا تدخل في ترقيم الفصول و ٥٦ هو العدد الكتلي للحديد تقريباً[٥] ٥٥,٨.

٣- وأشار غيره إلى أن كلمة «حديد» اسم علم مكون من أربع حروف وللحديد أربع مدارات تدور فيها الالكترونات حول نواة ذرته ولما كان كثير من أسماء الأعلام رباعية الحروف، فهذا لا يدل على شيء، ولكن على وفق حساب الجمل تكون الحروف ح د ي

(١) الزمر : الآية ٦.

(٢) غافر : الآية ١٣ .

(٣) النساء : الآية ١٠ .

(٤) شبهة نزول الحديد من السماء .

(٥) مقال للدكتور زغلول النجار نشر على الانترنت / http: //www.55a.net .

د أنها ٨ ٤ ١٠ ٤ بالجمع ٨+٤+١٠+٤= ٢٦، وهو العدد الذرى للحديد مرة أخرى .

٤- ولو أخذنا تكرار كلمة حديد في القرآن وقمنا بحساب ترتيب كل كلمة في السورة وجمعنا تراتيب هذه الكلمات كان الناتج ٣٢٥٨ والجذر التربيعي لهذا العدد هو ٥٧ تقريباً[١]، واعترض أن هذا من قبيل الموافقة، ولماذا أخذ ترتيب كلمات الحديد في القرآن؟ ولماذا جمع هذه التراتيب ثم أخذ الجذر التربيعي؟، وهذا التوافق مصادفة! وبخاصة أننا لو طبقنا هذا القانون على بقية السور لم تنضبط! وهذا يثبت أن العملية بأكملها مصادفة لا أكثر ولا أقل[٢]، ومن ناحية أخرى، فأن هذه الموافقات، أو هذا الإعجاز العددي أياً كان، لا يدلّ بأية حالة على إنزال الحديد من السماء، ولا يمكن الركون إلى هذه النتائج لأن فيها بعض تعسف في الاستنباط .

والذي يظهر للباحث أن القول بنزول الحديد من السماء ليس إلا نظرية لا يمكن البت بصحتها، وتظل عرضة للتغيير، فلا يصحّ المجازفة بنسبة هذه الكيفية إلى القرآن أمام احتمال ظهور نظرية أخرى مخالفة، وهذا رهن بثبوت صحة هذه النظرية بشكل قطعي .

❊ ❊ ❊

(١) المستقبل سيكون للإعجاز العددي .

(٢) ينظر : حساب الجمل ما له وما عليه، لعبد الدائم الكحيل، مقال منشور على الانترنت
http: / /www.55a.net /

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز لجانب من جوانب الإعجاز العلمي المتعلق بالحديد، وهو معجزة إنزاله، تبين لنا ما يأتي :

١- ثبت لعلماء الفلك والفيزياء الفلكية أن الحديد لا يتكون في الجزء المدرك من الكون إلا في مراحل محددة من حياة النجوم تسمي بالمارد الأحمر والتي بعد أن يتحول لبها بالكامل إلى حديد تنفجر على هيئة المستعرات العظام وبانفجارها تتناثر مكوناتها بما فيها الحديد في صفحة الكون، فيدخل هذا الحديد مجال جاذبية أجرام سماوية تحتاج إليه مثل أرضنا الابتدائية التي وصلها الحديد الكوني وهي كومة من الرماد، فاندفع إلى قلب تلك الكومة جراء كثافته العالية وسرعته المندفع بها، فانصهر بحرارة الاستقرار في قلب الأرض وصهرها وميزّها إلى سبع أرضين، وبهذا ثبت أن الحديد في أرضنا بل في مجموعتنا الشمسية بالكامل قد أنزل إليها إنزالاً حقيقياً .

٢- لم تتفق كلمة المفسرين على أن الحديد قد أنزل من السماء، إذ انقسمت أقوالهم على قولين : الأول ـ إن إنزال الحديد تمثل بإنزال أدوات مصنوعة من الحديد مع آدم، والثاني أن المراد بالإنزال هو الإظهار، أو أن أصله من الماء المنزل من السماء، فينعقد في الأرض جوهره حتى يصير بالسبك حديداً، أو أن المعنى: خلقناه .

٣- الذي ظهر للباحث أن القول بنزول الحديد من السماء ليس إلا نظرية لا يمكن البت بصحتها، وتظل عرضة للتغيير، فلا يصحّ المجازفة بنسبة هذه الكيفية إلى القرآن أمام احتمال ظهور نظرية أخرى مخالفة، وهذا رهن بثبوت صحة هذه النظرية بشكل قطعي.

والله من وراء القصد

المصادر والمراجع

- وهي بعد القرآن الكريم.

١- إِرْشَاد الْعَقْلِ السَّلِيمِ إلى مزايا الْقُرْآن الكريم . لأبي السعود مُحَمَّد بن مُحَمَّد العمادي، ت ٩٨٢هـ، دار إِحْيَاء التُّرَاث العَرَبِيّ، بَيْرُوْت، بلا تاريخ .
٢- بحر العلوم المسمى بـتفسير السمرقندي، لأبي الليث نصر بن مُحَمَّد بن أَحْمد بن إِبْرَاهِيم السمرقندي، ت ٣٧٥ هـ، تحقيق : د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ .
٣- الْبَحْر المُحِيط، لأبي عبدالله أَثِيْر الدِّين مُحَمَّد بن يوسُف بن علي بن يوسُف بن حَيَّان الأُنْدَلُسِي الشهير بابن حَيَّان وبأَبي حَيَّان، ت ٧٥٤هـمطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٩هـ .
٤- تفسير ابن أبي زمنين، وهو مختصر تفسير يحيى بن سلام، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن عيسى بن أبي زمنين المري المالكي، المعروف بابن أبي زمنين، ت ٣٩٩ هـ، تحقيق : مُحَمَّد حسن مُحَمَّد حسن إسماعيل وأحمد فريد المؤيدي، منشورات مُحَمَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣م .
٥- تَفْسِير السَّمْعَانِيّ، لأبي المظفر منصور بن مُحَمَّد بن عبدالجبار السمَعَانِي، ت ٤٨٩ هـ تحقيق : ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض ـ السعودية، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .
٦- تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي المتوفى سنة ١٥٠ هـتحقيق : أحمد فريد، من منشورات مُحَمَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .
٧- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ت ٣٧٠ هـ، تحقيق : أحمد عبدالعليم البردوني، مراجعة : علي محمد البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة،

القاهرة، مصر، بلا تاريخ .
٨- جَامِع الْبَيَان عن تأويل آي الْقُرْآن المعروف بـتَفْسِيْر الطَّبَري، لأبي جعفر مُحَمَّد بن جَرِير بن يزَيْد بن خالد بن كثير بن غالب الآملي الطَّبَري، ت ٣١٠هـ، تحقيق : محمود مُحَمَّد شاكر وأحمد مُحَمَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، مصر، ط١، ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠م .
٩- الْجَامِع لأَحْكَام الْقُرْآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبدالله شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أَبِي بَكْرٍ بن فَرْح الأنصاري الخَزْرَجي القُرْطُبي، ت ٦٧١ هـ، تحقيق : أَحْمَد عبد العليم البردوني دار الشعب، القاهرة، ط٢، ١٣٧٢ هـ .
١٠- سلسة الأحاديث الضعيفة، لمحمد ناصر الدين الألباني ت ١٤٢٠هـ، ط١، مكتبة التربية الإسلاميّة، القاهرة، بلا تاريخ .
١١- الفِرْدَوْس بِمَأْثُورِ الخِطَابِ لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني ت ٥٠٩هـ، تحقيق : مُحَمَّد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بَيْرُوْت، ط١، ١٩٨٦م .
١٢- الكَشْف والْبَيَان، لإبي إسحاق أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ت ٤٢٧ هـ، تحقيق : الإمام أبي مُحَمَّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢م .
١٣- لُبَاب التَّأْوِيل فِي مَعَانِي التَّنْزِيل المعروف بـتَفْسِيْر الخازن لعلاء الدِّين علي بن مُحَمَّد بن إبْرَاهِيم البَغْدَادي الصوفي المعروف بالخازن، ت ٧٤١ هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٥٥م
١٤- لطائف الإشارات تفسير القشيري، لأبي القاسم عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك القشيري النيسابوري الشافعي، ت ٤٦٥ هـ، وضع حواشيه وعلق عليه عبداللطيف حسن عبدالرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م .
١٥- مَجْمَع الْبَيَان فِي تَفْسِيْر الْقُرْآن المعروف بـتَفْسِيْر الطَّبَرْسِي، لأبي علي الْفَضْل بن

الْحَسَن بن الْفَضْل الطَّبَرْسِي الطُّوْسي السَّبْزَواري، ت ٥٤٨هـ، تصَحِيْح وتعليق : هاشم الرسولي، وفضل الله الطباطبائي اليَزْدِي، شركة المعارف الإسلاميّة، إِيْرَان، ط١، ١٣٧٩هـ

١٦- مجموعة مقالات على شبكة الانترنت .

١٧- المحرر الوَجِيْز فِي تَفْسِيْر الكِتَاب الْعَزِيز، المعروف بـتَفْسِيْر ابن عطية، لأبي مُحَمَّد عبد الحق بن عطية الغرناطي الأندلسي، ت ٥٤١هـ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .

١٨- المُطْلِع عَلَى أَبْوَاب الْفِقْه، لأبي عبدالله مُحَمَّد بن أَبِي الفَتْح البعلي الحنبلي، ت ٧٠٩ هـ، تحقيق : مُحَمَّد بشير الأدلبي، المكتب الإسلاميّ، بَيْرُوْت، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م .

١٩- مَعَانِي الْقُرْآن، لأبي زَكَرّيا يحْيى بن زِياد الفَرَّاء، ت ٢٠٧ هـ، تحقيق : أَحْمَد يوسف نجاتي، ومُحَمَّد علي النَّجّار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦م .

٢٠- معجزة إنزال الحديد وبأسه الشديد في القرآن الكريم والفيزياء النووية، أ.د عبد الله محمد البلتاحي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ٢٠٠٨م .

٢١- المُفْرَدَات فِي غَرِيب الْقُرْآن، لأبي القاسم بن حسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت ٥٠٢هـ، دار القلم، دمشق، بلا تاريخ

٢٢- من أبحاث المؤتمر الأول للإعجاز العلمي ـ تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. عبد المجيد الزنداني، وسعاد يلدرم، ومحمد الأمين ولد محمد، الرياض، ١٩٨٧م .

٢٣- من آيات الإعجاز العلمي في القرآن، الدكتور زغلول النجار، مكتبة الشروق، القاهرة، ٢٠٠١م .

٢٤- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، دمشق، ط٢، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .

٢٥- النُّكَت وَالعُيُون، المعروف بـتفسير الماوردي، لأبي الحسن علي بن حبيب البصري،

ت ٤٥٠ هـ، تحقيق : خضر مُحَمَّد خضر، مطابع مقهوي، الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

٢٦- الوَجِيْز فِي تَفْسِيْر الكِتَاب الْعَزِيز، لأبي الْحَسَن علي بن أَحْمَد الواحدي، ت ٤٦٨ هـ، تحقيق : فوان عدنان داوودي، دار القلم بيروت، والدار الشامية بدمشق، ط١، ١٤١٥ هـ .

❊ ❊ ❊